

لقد نشأ العرب وعاشوا في شبه جزيرة تحيط بها مياه البحار من ثلاثة جوانب ، جنوباً وشرقاً وغرباً . فكان طبيعياً أن يعرفوا البحر وجماله وتقلباته وسفنه . ولما كانوا رواد تجارة أيضاً وكانت بلادهم معبراً للتجارة العالمية ، فقد نقلوا هذه التجارة عبر الطرق البحرية والبرية أيضاً . فكانت قوافل التجارة تأتي من الجنوب إلى الشمال . وكان عرب الشمال وخاصة أهل مكة ، يقودون حركة التجارة البرية القادمة من اليمن جنوباً إلى الشام شمالاً . وفي منتصف الساحل العربي المطل على البحر الأحمر ، أقام حواتون عرب من صيادى الحيتان ، النواة الأولى لمدينة جدة الساحلية و«اتخذوا العرائش مساكن متواضعة لهم ، ليأوا إليها بعد رحلاتهم الصيدية في عرض البحر» . بل استقر قضاة الابن الثاني لمعد بن عدنان ، أحد أجداد محمد رسول الله ﷺ ، في جدة وسميت باسم أحد أبنائهم وهو «جدة بن جرم بن ريان» وكان هذا قبل الإسلام بنحو خمسة قرون<sup>(٢)</sup>. في حين نقل عرب الجنوب ، من سكان اليمن وحضرموت والخليج عامة ، تجارة الهند وأفريقيا عبر المحيط الهندي والبحر الأحمر والخليج العربي إلى الشام والعراق ومصر.

ولم يكن عرب الجنوب تجاراً فحسب ، بل كانوا ملاحين مهرة . فالتجار العرب الذين تمرسوا بالاتصال التجاري عبر البحر الأحمر والمحيط الهندي ، كان يقود سفنهم ملاحون عرب من حضرموت وعمان وعدن والشحر وغيرها من المدن الساحلية العربية في الجنوب . وقام العرب في جنوب الجزيرة العربية بأعمال التبادل التجاري عبر البحر الأحمر من الخليج واليمن إلى الساحل الشرقى لأفريقيا ، حيث أقاموا المراكز التجارية على هذا الساحل ونقلوا منها تجارة أفريقيا ، من الذهب والعاج والرقيق فوق السفن العربية ، وتبادلوها بالسلع العربية والرومانية والفارسية . وكانت هذه الرحلات التجارية البحرية منتظمة ، تؤكدها سيطرتهم على بعض مراسى وموانئ الساحل الأفريقي ، وتمرسهم بصناعة السفن ومعرفتهم للطرق البحرية والرياح الموسمية .

وفي هذه الحقبة التاريخية القديمة من تاريخ العرب في العصر الجاهلي ، عرفوا الرياح الموسمية في المحيط الهندي ، التي مكنت سفنهم الشراعية الصغيرة «المعروفة باسم (الدو) من القيام برحلتين منتظمتين في السنة بأقل مجهود . ففي فصل الخريف تدفعا الرياح في اتجاه معاكس يمكن السفن من العودة إلى قواعدها في سواحل الجزيرة العربية ، وفي خلال دورة

(٢) عبد القدوس الأنصاري ، جدة - مدينة وتاريخ ، مجلة الفيصل العدد (١٨) نوفمبر ١٩٧٨ (ص ٣٩-٥٧) .